

مهمة الأبوين في تربية الأولاد

تبدأ تربية الأولاد قبل أن يولدوا . ومع أن هذه العبارة قد ابتذلت فاننا نحتاج الى توكيدها وتكرارها . ذلك لأن الولد ثمرة أبويه يرث منهما الصحة والذكاء ، كما يرث طول القامة أو سواد الشعر أو صباحة الوجه أو دمامته . وكاننا مثلا نستطيع أن يقول إن هذه الطفلة تشبه أبويها في قسما ت وجهها واستدارته أو استطالته . وذلك بالطبع بنحكم الوراثة التي لا يقتصر أثرها على الوجه بل يتجاوزها الى جميع أعضاء الجسم الداخلية . فكما ترث الطفلة أو الطفل سواد الحدقة أو سعة الجبهة كذلك ترث نوعا من القلب أو الكبد أو الدماغ قد يكون ميزة أو نقصا في حياتهما من حيث القوة على مقاومة المرض أو الضعف عنها . وقد أصبح في ما لوف الكتب الصحية أن تضع أول شرط لطول العمر أن يحصل الإنسان قبل ولادته على أبوين معمرين . ولا تنسى شركات التأمين أن تسأل الراغبين في تأمينها عن أعمار آبائهم وعن الأمراض التي ماتوا بها . لأن الابن سيرث صحة أبويه .

فترية الأولاد تقتضى قبل كل شيء من الأبوين أن يكونا صحيحين جسما وعقلا . وألا يقدم أحد على زواج إلا إذا وثق من صحته وصحة المجلس الآخر . ولكن صحة الأولاد - بعد أن يتوافر شرط الوراثة الحسنة - تحتاج إلى عناية كبيرة أيام الطفولة من توفير الطعام واللباس والكشف الطبي من وقت لآخر . والتربية في معناها اللغوي هي التنمية . وهي كذلك في معناها الفنى . لأننا حين نربي الطفل إنما نتمى قواه العقلية والجسمية . وإذا مرض الطفل في سنه الأولى فان مرضه هذا سوف يؤثر في كفاءته وقت التلمذة كما يؤثر في اخلاقه بما يتركب في نفسه من مركات سيكولوجية تحد من شخصيته . وكثيرا ما يكون التأخر في المدرسة ناشئا من قصر النظر الذي لم يعالجه الأبوان في مياعده . كما أن كراهة الصبي للدرس قد تنشأ من ضعف في الصحة كالأنيميا أو غيرها من الأمراض . فيجب أن يلتفت الأبوان قبل كل شيء الى صحة الطفل وأن يجعلوا منها الشرط الأساسى لنموه الذهنى والأخلاق .

ولكن كما أن الطفل يرث تراثا بيولوجيا من أجسام أبويه وجزوده كذلك هو يرث تراثا اجتماعيا من أبويه ومن يمت إليهما بصلة حميمة كالجدة أو العم أو من يتفق وجوده بالمنزل حتى الحادم . لأن الطفل إن يعرف الدنيا في المستقبل عندما يبلغ الشباب إلا على الصورة الأولى التي نشأت في ذهنه أيام طفولته. والذي ينقش هذه الصورة هو أبواه ومن يساكنهما من أقارب أو خدم . فإنه يقتدى بهم ويتعلم أخلاقه واستجاباته الاجتماعية منهم . وهنا تبرز لنا مهمة الأبوين لأن كلا منهما معلم لابنائه من حيث لا يدري . بل هو أكثر من معلم، لأن أثره ينفرس بالقدرة والمثال وليس بالتعليم والتلقين، فالأبوان المشاجران المتسابان والبيت الذي لا يهدأ عن الصياح والصراخ والذي يخلو من النظام أو النظافة - كل هذه البيئة الاجتماعية ستطبع في ذهن الطفل كأنها النقش في الحجر الذي يصعب بعد ذلك طمسه أو محوه . فلنكن ربي الأبوان أولادهما يجب أن يبدءا بتربية نفسيهما . فلا يظهر أحدهما أمام الطفل إلا بالمنظر الذي ينبغي للرجل المتعدن المهذب الذي يتأى عن الرذائل ويتجنب الصغائر ويجب التعاون ويعامل من حوله بالحب والرعاية والاحترام. فإذا تمت هذه الفضائل في الأبوين فإن منها ستكون القدوة الحسنة التي هي أعظم تراث اجتماعي يرثه الطفل من أبويه .

ولكلا لا تقصد من هذا الذي ذكرنا أن يقف الآباء موقفا سلبيا يقتصران فيه على أن يكون كل منهما قدوة . بل هما لا يستطيعان ذلك حتى لو شاءا . فإن الطفل إنسان يعامل أبويه ويأخذ ويعطى . بل لعلة يريهما بقدر ما، من حيث إنه يفتح لها أبوابا للاهتمام لم يكن أحدهما ليهتم بها لولاه . ومما يلاحظ أن الشخصية تزداد وتخصب بالزواج والأولاد . وزياتتها وخصبها تربية جديدة لا يحصل عليها الأعراب .

وعلى الأبوين أن يتجنبوا في تربية الأولاد أمرين كلاهما سيئ : وهما التدليل والقسوة . لأن الطفل المدلل الذي يبكي عندما تنكر عليه رغبة، والذي يحصل عليها بالكاء قد استقام له من هذا السلوك أسلوب من الحياة سيميش عليه ويجرى على قواعده حتى ولو بلغ الشيخوخة . فهو يعامل رؤسائه كما لو كان كل منهم أم أو أب ينتفض أمامهم ويشور ويهيج وينتظر أن يصلحوه . ولا يمكن نجاح في المجتمع مع هذه الأخلاق .

وكذلك الطفل الذي عومل بالقسوة ينشأ وهو يظن أن الناس أعداؤه يقسون عليه ويجب عليه أن يتحاماهم بالمكر أو البطش . وهو هنا لا يعرف التعاون ويتوجس من الصداقة . ولكن قل أن يقسو الأبوان على أولادهم لأن القسوة تأتي عادة من زوج لأم أو زوجة الأب الغريبين عن الطفل أو الصبي . وإصلاحات الأحداث عندنا حافلة بهؤلاء المساكين الذين

نفروا من المجتمع لأنهم نشأوا في بيئة منزلية تدعو إلى التنفوس . ولكن الأغلب أن الأبوين يدلان ابهما ، وهنا ضرر قد ينقص في مقداره عن القسوة ولكنه يدانها .

وخير ما يتبع مع الأطفال أن يعاملهم الآباء كأنهم أجناب بلا قسوة وبلا محابة . فالطفل يجب أن يعاقب بالنبيه أو التوبيخ إذا أخطأ ، كما يكتفى بالابتسام أو الشراء إذا أحسن . ويجب أن يعامل كأنه إنسان له احترامه وكرامته . فلا يصح لأحد أن يعتدى على لعبته أو هوايته كما يجب ألا يكلف عملاً إلا مع المكافأة المالية مهما تكن صغيرة حتى يحب العمل ويرغب فيه . وإذا كان الأولاد كثيرين فيمكن للأم أن تؤلف منهم جمعية مستقلة لها نظام مالي وإداري وتاديب حتى يتعلم الصبيان التماون وحكم الشورى ، وحتى يتجروا على الابتكار في المشروعات . ومثل هذه الجمعية تحتاج بالطبع إلى عضوية الأبوين وإرشادهما .

إن عنوان هذه العجالة هو "مهمة الأبوين في تربية الأطفال" ولكن يجب ألا نتخذ هنا ونحسب أن مهمة الأب تساوى في التربية مهمة الأم . فإن التصاق الأم بالأولاد في السنوات الخمس أو الست الأولى من أعمارهم يجعل لها الحظ الأكبر في هذه التربية . فانها هي التي تختار طعامهم وتدير مآلتهم وهي التي تعاشرهم في البيت طول النهار . فهم يكتسبون الصحة والأخلاق منها . وأسوأ بل أنعم ما تصاب به أمة أن تكون نساؤها متخلفات رجعيات جهالات . لأن الأم هي المربية لأولى للشعب .

أما قيمة الوالد في التربية بعد ذلك فيجب أن تتجه نحو توفير وسائل التربية التي يمكن أن تشتري بالمال في البيت . ويجب أن يرافق أبناءه وزوجته إلى الملاهي المفيدة التي ترفع الذنوس ولا تخفضها . ويجب أن تكون له النصيحة الحسنة يقدمها لزوجته في شأن هذه التربية ولا جد فيها من آراء . وعليه بعد ذلك أن يعنى بتهيئة ابنه للدراسة وأن يختار له أفضل المدارس وأن يلاحظ تقدمه المدرسي ويبحث عن عيوبه ويعالجها أولاً بأول .